

(الدور التجديدي للوحيد البهبهاني في
علم الأصول)
(حجية الظن أنموذجاً)

د. هاشم حمود اليوسفي
جامعة الكوفة / كلية الفقه

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}
(الإسراء: ٣٦).

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلاق أجمعين باعث الأنبياء والمرسلين والصلاة والسلام على البشير
النذير والسراج المنير ابي القاسم محمد وعلى آله وصحبه الميامين. وبعد...

لقد تميزت المدرسة الأصولية عن غيرها بالعمق العلمي المتأصل بالتراث التشريعي قرآنا وسنة
بلوغا إلى أهدافها السامية في البحث والاستدلال لوارتقاء الحجة المناسبة لعملية الاستنباط الاجتهادي
ولولا ذلك العمق والشمول المتجسد في أصالة تراثنا المعرفي واستفاضة وأستقوائه في حركته
الدائمة والمستمرة لما حظينا على مثل هكذا شبكة من الأحكام الشرعية ابداع في تحديد مبادئها فقهاء
الأمة منبداية الغيبة الكبرى وإلى يومنا هذا.

بيد أن هذه النتاجات العلمية المميزة إنما عبرت عنها جهود مضنية بذلتها عقول كبيرة وقلوب أتعبت
العيون والأبدان وسهرت الليالي وضحت بالكثير من الملذات الدنيوية بعد ان فرضت عليها الهجرة
من هنا وهناك لنيل ما يبتغون خدمة للدين الحنيف ومن هج مدرسة الإمامة التي أعطت كل مآلديها
من مؤهلات وقدرات وإمكانات من اجل الحفاظ على أصالة الرسالة ومواجهة الأفكار السطحية
وأرباب المصالح النفعية الذين يتحينون الفرص لغرض قذف سمومهم في مياه العقيدة الصافية.

ومن الأهمية بمكان ان هموم الإصلاح والتغيير هموم تصاح ب المصلحين وتوابع العارفين ودعاة
التغيير الحقيقيين ... لذا نجد شخصية الوحيد البهبهاني هو واحد من حملة لواء التجديد في مسيرة
الإصلاح كونه مارس منهجه الفكري التجديدي في علم أصول الفقه داخلا المعركة الشرسة في
مواجهة المدرسة الأخبارية التي حاولت أن تعيد الأمة عن المباني الأصولية الحقبة التي دأب عليها
علماء الأمة طوال سبعة قرون.

ومعلوم ان مباحث الظن في مدرسة الوحيد البهبهاني هي واحدة من أدوات مشروعه الإصلاحية بعد أن حظيت بالرفض القاطع من المدرسة الإخبارية . وقد بذل جهده العلمي والمعرفي وأعاد ما فيها من ثمرات يانعة وضعها تحت تصرف الفقيه حالما حدد ان المنطلق من الظن يدخل الخبر الواحد ومن يلتبس من الأصوليين رخصة الشارع المقدس بالأخذ فيه بناء على قاعدة اليسر وأن مع العسر يسرا... ذلك مايوحى لكل لبيب مراعاة ماينبغي الوصول منه إلى كشف تام عن الحكم أو كشف ناقص لكنه متابع مولوياً للنظر في قوته الدلالية على حكم معين.

حياته في سطور

العلامة محمد باقر بن محمد أكمل الأصفهاني المشهور بالوحيد البهبهاني ينتهي نسبه إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان التلعكبري (ت ٢١٣هـ) ومن طرف أمه إلى المحدث المجلس الأول محمد تقي (ت ١٠٧٠هـ).

* اشهر اوصافه العلمية بالمجدد كما ذكر ذلك جملة من الأعلام منهم الحائري محمد بن اسماعيل المازندراني في كتابه منتهى المقال في أحوال الرجال ومنهم محسن الأمين صاحب كتاب أعيان الشيعة والطهراني أغابزر ك^١ في كتابه الكرام البررة .

وكذلك لقب الاستاذ الاكبر واحيانا بلفظة (الانما) وهي كلمة تركية تعني بالفارسية السيد أو المولى الكبير^٢

* ولد في اصفهان وأكمل علومه الأولية في مدينة بهبهان في دولة ايران وقد اختلف في تاريخ ولادته والأشهر (١١١٧هـ)^٣.

وفي سنة ١١٣٥ هـ هاجر من بلده إلى العتبات المقدسة في العراق وقد يكون السبب سقوط الدولة الصفوية على يد الأفغانيين آنذاك حيث عجت الفوضى في البلاد مما دعا الأسرة كلها تتجه إلى العراق علما ان في ذلك الوقت تنامت فيه الحركة الأ^٤خبارية والمستمدة قوتها من واجهات الدولة الصفوية بالنظر لصراعها مع الدولة العثمانية.

* اما اساتذته منهم السيد صدر الدين الرضوي القمي في الفقه والأصول والسيد محمد الطباطبائي البروجردي وغيرهم من أكابر العلم والمعرفة حيث كانوا ينظرون أليع بعين الاعتبار وكان بد^٥اية شبابه حيث عمره لم يزيد عن الثامنة عشر لكنه في عقلية متكاملة.

* بعد تليه واكتسابه العلوم الأصولية والفقهية المركزة شد رحاله إلى مدينة بهبهان حيث يتواجد فيها مركز الإخباريين هناك وتصدى لهم بكل بسالة وشجاعة داعياً إلى نصره الأصول الاستنباطية^٦حسيب مالدیه من منهج بحثي وتبليغي.

* وبعد ان قضى أكثر من ثلاثين سنة في بهبهان وغيرها من مدن ايران التي شاعت فيها حركة الإخباريين ... وبعد ان سجل انتصارات رائعة عاد مرة أخرى إلى العراق حيث نشطت الحركة الإخبارية في كربلاء والنجف وأستقر في كربلاء المقدسة وهزم الإخباريين أشد هزيمة.

* وانتهت حياته الشريفة هناك بوفاه عام (١٢٠٥هـ) ودفن في رواق ابي عبد الله الحسين (ع) عند أقدام الشهداء^٧

*كانت لديه مؤلفات كثيرة بلغت أكثر من ٩٥ رسالة وفائدة وكتاب وأشهر تلاميذه الشيخ محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩ هـ).

والسيد محمد مهدي بحر العلوم والسيد علي ال طباطبائي صاحب الرياض ومنهم الشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيرهم.^٨

المبحث الأول

حجية الظن عند علماء الاصول

مما لا شك فيه بأن الإتجاه العقلي يذهب إلى الكشف التام على أي موضوع كان ولو قدر أن لا يكون كذلك أي بمعنى كشفه ناقص فإن ذلك ما يحتاج إلى عناية أكثر فأكثر حتى يصل العقل إلى ما يقطع التوافق عليه.. وبما أن النصوص القرآنية المتعددة اشارت إلى مفهوم الظن فأنها حذرت من الوضع فيه بناء على عدم تكامل كاشفيته فضلاً عن نزوله إلى الوهم والشك وما إلى ذلك وهذه الآيات المباركة.

منها:

١- { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (الاسراء: ٣٦)

٢- { وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا } (النجم: ٢٨).

٣- { وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ خَلَوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } (الانعام: ١١٦)

٤- { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } (الانعام: ١٤٨).

٥- { أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (يونس: ٦٨).

وهذه الطائفة من الآيات الكريمة تبين لنا المراد من الظن المنهي عنه الذي ليس لهم به علم حسب ما يتعلق في أغلب الآيات وما أراد الله أن يوبخهم وينكل بهم لعدم علمهم بما هم يقولون وهو امر يستقبحه العقل لامحالة فكيف ان لا يكون مذموماً من الله تعالى فالظن المحذور هو ما لا يقره العقل في بداياته.^٩

ومادلت عليه السنة في كثير من الأحاديث نذكر منها:

١- قوله (ص) - (أيكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)^{١٠}.

٢- روى ان زارة بن أعين قال (قلت لأبي عبد الله (ع) ما حق الله على خلقه؟... قال حق الله على خلقه أن يقولوا بما يعلمون ويكفوا عما لا يعلمون فذا فعلوا ذلك أدوا إليه حقه)^{١١}.

٣- عن الإمام الصادق (ع) قال (من شك أو ظن فأقام على أحدهما فقد حبط عمله، ان حجة الله هي الحجة الواضحة)^{١٢}

ومعلوم من قول الإمام (ع) بأن الحجة الواضحة هي العلم المتيقن الذي ليس فيه من الشك أو الظن وما تقدم ذكره إنما يؤكد بأن العلماء ذهبوا بعدم حجية الظن المعتبر بذاته وليس له علاقة في تنجيز حكم معين معلوم في ظنه...

بيد ان الواضح العلمي المعرفي كما يدور في مصنفاتهم الأصولية عقدوا بحوثاً لامعة في اثبات حجيتهم المجعولة كونه معتبر عقلاً وشرعاً وأمكان اتخاذ سبيلاً لمعرفة الأحكام الشرعية حسب مقولتهم المعروفة (أستفراغ الفقيه وسعه في تحصيل الظن بحكم شرعي)^{١٣}.

وقد عبروا عما يريدون الوصول إليه بقولهم (ان الفقيه المجتهد في عملية الاستنباط للحكم الشرعي يستند على مقدمتين:

احدهما وجدانية أي ثابتة بالوجدان وهي ما أدى إليه ظني أي ما أنتهى إليه كل ما في سعي ونظري وتأمل)^{١٤}.

والأخرى تاليف البرهان وهي (كل ما أدى إليه ظني فهو حكم لله في حقي) وهذه العبارة لم تثير فينا أي حالة استغراب. رغم صراحتها في تنحية احكام الشارع لظنون الفقهاء.

وقد أكد العلماء على ما وصلوا إليه في اثبات حجية الظن مايلي:

ماذكره صاحب المعالم (ت ١٠١١ هـ) بأن المراد من العلم الذي هو حجة هو المعنى الشامل للظن... لأن استعمال لفظة علم هي شائعة عند أهل اللغة حسب قولهم تعريف الفقه اصطلاحاً (العلم بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية)^{١٥}.

وقد برروا بأن العلم يحمل على معناه الأعم بما فيه المظنون .

ماذكره العاملي حسين بن عبد الصمد بقوله (ان المراد بالظن الذي نهت النصوص عنه هو الوهم ،أي الإنكشاف البسيط وليس الكشف الناقص كما في الظن المعتبر فهو الأقوى من البسيط لامحالة ذلك ما يعني الأخذ به نسبياً)^{١٦}.

والرأي الثالث :وهو بعنوان- دعوة الخروج تخصيصاً- وهو أن الأدلة الشرعية من الآيات والأحاديث النافية لحجية الظن هي ناظرة إلى الإتجاه العقائدي فقط...وليست شاملة للأحكام الشرعية فتعد خارجة تخصصاً...وذلك ما قاله الأمدي بقوله (ان المعتبر في الأصول القطع واليقين...بخلاف الفروع فإنها مبنية على الظنون)^{١٧}.

ومنهم كذلك العاملي حسين عبد الصمد بقوله (وأما الشرع فلا يخفى فيه وجوب العمل بالظن الغالب في أكثر الموارد وأما ما جاء في القرآن من النهي عن اتباع الظن فالمراد منه النحو العقائدي لأن الآيات بحق الكفار)^{١٨}.

وكما عبر عنها الشهيد الصدر (رض) قوله (ان الظن لا يغني من الحق شيئاً فهي مدلول مطابق في مخاطبة الكفار وأن القول بعدم حجية الظن ثابت في اصول الدين وقواعده العامة وأما في فروع

الدين وجزئياته فالعمل بالظن واجب ولا سبيل أليها إلا الظن غالباً لأن أصول الدين إنما يستدل بإثباتها بالأدلة العلمية وليس الظنية واما فروع الدين المتمثلة بالأحكام الشرعية فليست مشمولة للأدلة النافية لحجية الظن... فيكفي الاستدلال عليها بالأدلة الظنية كما هو الحال في حجية خبر الواحد عن المعصوم (ع)، ومثله مدلول دلـيل الظن—هور فإنه إلى لاي—ؤدي أكثر من الظن لكنه حجة^{١٩}.

المبحث الثاني

معايير التجديد لحجية الظن في مدرسة البهبهاني

بعد ما وقفنا على ماهو واقع التعامل مع الظن وحسب آراء رواد الاختصاص كأصوليين بارعين كان للشيخ الوحيد(قدس) رؤية قد تكون مقنعة واكل مايقال منها أنها معتدلة وقبل ان ندون مالدیه من الرؤية فهو حاول ان يضع الآراء بشكل مسبق كنتائج حصرية لما قبله وعمد على مناقشة ماهو الأهم منها فقال:

أن جواز العمل بالظن وعدم جوازه فيه عدة أقول:

١- عدم الجواز بالظن في نفس الأحكام الشرعية وفي موضوعاتها^{٢٠}.

٢-مقابل ذلك بوجود رأي يجوز العمل في الظن أما في الحكم أو الموضوع

مناقشته للرأي الأول(عدم الجواز):

المعيار الاول : قال أن المعتبر مايريد ه الشارع المقدس لامانريده نحن، كثير ومن الطبيعي أن جل الأخبار يع تبرير المراد منها من خلال ملاحظة الخبر اللاحق لها،وقد يكون مالم يظهر مثل ما ظهر لكنه لم يصل ألينا للظروف الزمنية ،وقد يكون و صرل لكن لم نطلع على روايته ...فالعلم الذي نريد الوصول إليه قد لا تتوفر وسائله وليس لنا حق تعطيل مراد الله تعالى،فلا بد أذن من العمل بالظن

المعيار الثاني: وهو معلوم في مدرسة أهل البيت (ع) بأن باب العلم بعدم حضور المعصوم فهو مسدود، فكيف إذن إذا ما قدر لنا أن نسد باب العلم ي ايضاً ذلك ما يعطل التزاماتنا مع المشرع بل هو أمر محال - فينحصر الطريق بالظن غالباً ...ومن الطبيعي ان نتعامل مع الظنون في قول اللغ وي والنحوي، واصالة العدم واصالة الصحة واصالة البقاء وغير ذلك^{٢١}.

المعيار الثالث : أن الأغلب الأعم من الرواة ينقلون الرواية ومراد المعصوم بالمعنى ذلك ما يحصل تفاوت بين واحد وآخر مما يؤدي حملة على الظن لعدم تيسر المعنى الحقيقي بسبب كثرة ورود لفظ مع قرينة .

المعيار الرابع : ما نعتقده من أصول واجبة التمسك في بعض الحالات فهي الغالب مافيهما ظنية ومنها أصل لعدم ، أي بمعنى عدم وجود دليل على صحة قضية معينة يعني من ذلك دليل على العدم فهذه القاعدة الأصولية ليست علمية إنما هي ظنية أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم ظني الدلالة بلاشبهة في موارد عدة والاجماع المنقول بخبر الواحد هو كذلك ظني ...وذلك ما يعني ان الاحكام

الشرعية تستند على الاعم الاغلب على ادلة ظنية... وفي الأقل النادر تستند على الادلة القطعية كالقرآن في تواتره ومثله الخبر المتواتر^{٢٢}.

ثمعلق الشيخ على مثله ذات قيمة عاليه في البحث وهوأن الظن فيه قسمان :احدهما ظن خاص ومراده كل ظن اعطيت له الحجية لايوصفه ظنا بل بوصفه ظنا خبريا اودلاليا كالخبر الواحد مثلا فانه المولى اجاز في حجية الخبر الظني الخاص وهو الخبر الواحد فتكون النتيجة حاصلها حجية خبر الواحد كون من الظنون الخاصة...

والثاني الظن المطلق...فهوكل ظن قد ثبت حجيته بوصفه ظناً لاغير فتكون النتيجة كل ظن هو حجة بما فيه القياس الحنفي ،وهذا مالا يصح والصحيح ..أن الظن الخاص هو الذي تناله الحجية وأما المطلق فلا يؤيده علماء الإمامية^{٢٣}.

لاغرو بما امتدت به يد العطاء العلمي للشيخ الوحيد ع ندما أرسى قواعد الظن وناقش القول بعدم الجواز بحجية الظن لاسيما الخاص إنما هو اسس رسالة اجتهادية لها جذور أولية فيما يتعلق بأخبار الأحاد التي وصفها الشيخ فاضل النوني (١٠٧١هـ) والذي شاركه في مسلمة مؤكدة وهي من أهم التكاليف المتعلقة بالعبادات وغيرها باقية إلى يوم القيامة وهي لاتموت بمرور الزمن لكنها ماثبتت في غالبها إلا بأخبار الأحاد أي الظنية...مما يستقل العقل بلامنازع بأن هذه الأخبار حجة لامحالة وأن كانت تنزيلية أي منزلة بمنزلة القطع.

*شروط الخبر المعمول بحجيته عند الشيخ الوحيد:

١- وجوده في الكتب المعتمدة لمدرسة أهل البيت(ع).

٢- عمل بها جمع من العلماء من رد ظاهر في العيان.

٣- ان لايعارض بدليل آخر^{٢٤}.

*الذي يؤيد ماتصوره الشيخ الوحيد في حجية الظن هو مقال له صاحب معالم الدين بقوله (ان سبيل العلم بالأحكام الشرعية تفعل غالباً في مثل عهد مابعد الغيبة إذا أستشينا ضروريات ا لدين الواضحة والمعلومة كما ان القرآن الكريم لايفيد في نفسه إلا الظن وان كان قطعي الصدور ونقله الأصالات المتعددة...وعليه اعفاء امثال تلك التكاليف الشاملة لنا يقيناً بالظن وإلا لزم التكليف بما لايطاق^{٢٥}.

ويستخلص الشيخ مبررات العمل بالظن من الناحية العقلية والتحليلية حسب الموارد التالية منها حسب أستنتاج الباحث:

١ -لايشك أحد بأن ثبوت الأحكام الشرعية على المكلفين لأقل بالعلم محال وهذا ما عليه اجماع الاصوليين .

٢ -من المؤكد بعد لغيبة حدث انسداد ابواب العلم والقطع في كثير من الاحكام بل حتى باب الظن الخاص في أغلب الأحيان.

٣ -بأن أهمل أي تكليف شرعي وعدم تفصيلها والأمتثال لمضمونها يُعد أمراً مخالفاً شرعاً وعقلاً.

٤ -العمل بالإحتياط في كل موارد التكاليف الشرعية هو أمر غير مسبوق بل لازمه

العسرة والشدة والحرص الشديد ذلك ما ينافي في حكمة المولى عز وجل بالنظر لقوله تعالى { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (البقرة: ١٨٥). فالمستفاد من إطلاقها وعمومها الابتعاد عن مواطن الشدة مضافاً إلى ذلك قد يكون الملف مشمول بقاعدة لا ضرر ولا ضرار إذا توخينا الدقة في عمومها...
والنتيجة كما يبدو بأن الشيخ الوحيد هـ ذا العرض التحليلي في موضوع الظن كان مؤيداً ومباركاً من علماء آخرين خصوصاً المعاصرين لحياته العلمية الشريفة... ذلك ما يتضح لنا في المبحث الثالث. بيد أن الذي نريد اثباته في حركته التجديدية ماجهد عليه من استعادة متبنيات أصوليه قد عصفت بها رياح الأخبارية لأكثر من قرنيتين قلبها ثوباً جديداً ومنها حجبة الظن مما يدل على أنه العالم المجدد فعلاً في ذلك القرن.

المبحث الثالث

الآثار المترتبة على منهج الشيخ الوحيد

من الأهمية بمكان أن نجد عالماً بارعاً مبدعاً قد وضع الأصحاب الاختصاص وأهل الفقه خارطة طريق من أجل الوصول إلى الحكم الشرعي المناوب وتوظيف الطاقات الفاعلة بنتاجيز مراد المولى جل شأنه... وإذا ما أرادنا أن نستقصي الآثار التي أفرزها منهج الشيخ الوحيد من الناحية الأصولية فهذا البحث تمنع من استيعابها إلا أن الملاحظ فيه تعلق بالظن ون فمن المؤكد ما نستطيع الوقوف على معطياته الإيجابية ومحاولة نشرها في أروقة البحوث والمؤسسات التعليمية حوزوية كانت أم أكاديمية لغرض رد الثقة في شخوص الحركة العلمية والمعرفية والاقتداء الصحيح فيها نظراً لما بذلت من وسعها دفاعاً عن العقيدة المقدسة وعدم التهاون والسكون أمام الذين يشوشون ويشوهون حقيقة المبدأ ومتبنايه العلمية دونما يريد عليهم أحد وهذه هي الطامة الكبرى...
فالحركة الأخبارية مثلاً تبادت إلى درجة بفكرها التضييلي مستوعبة الساحة الإسلامية لعدم وجود من يقف بوجهها.

بيد أن الشيخ المبجل قد حمل اكفانه على عوا تقيه وتدرع بحول الله وقوته وجهده العلمي فدخل المعركة فكان النصر حليفه ولجميع المؤمنين... وما علينا إلا أن نذكر تلك الآثار ذات الأهمية منها:
١- الآثار العلمية المتينة لمنهج الشيخ هو إعداد علماء أفذاذ على طول الزمن قد تأثر بعضهم لاسيما تلامذته وأقرانه في شخصية صا حب المنهج فكانت له آثار وضائعه في ما يتعلق بحجبة الظن التي وضعها الوحيد في طريقها السديد ومن هؤلاء.

الشيخ محمد تقي الأصفهاني بقوله (ان تحليل فقه علماء الإمامية يؤيد حجبة الظن الخاص لا المطلق والعقل حاكم بامتياز على هذا المدعى لأن الخلاف فيه إنما هو خلاف في م باني التشريع ولا أحد يؤيد ذلك...) ^{٢٦}.

٢- والأثر الآخر أن الشيخ الوحيد لم يكن مبيناً قضية الظن حسب السياقات العلمية والمعرفية فحسب بل أن ما فعله رداً على الأخباريين إنما يشكل منهج علمي تجديدي بعد الركود والجمود الذي مرت به مدرسة أهل البيت الاجتهادية، إذا استطاع بما بذله من سعي جاد وجهد حثيث من نشر الفكر الأصولي بشكل منهجي دونه في عنوان عام اسمه الفوائد الحائرية القديمة والجديدة اختلفت اختلافاً واضحاً عن الهيكل العام لثبوت من تقدم عليه بالحيثية التي ذكرها بعض تلامذته بقوله (أن الذي أثبتته الوحيد البهبهاني في تطور البحث الأصولي قد أسهم إلى غاية المراد تقنيين وتغيير المنهج العلمي واساليب

البحث الذي قام به علماء كبار من قبل لأن جهوده العلمية مثلت إلى حد ما وصل إليه تراثنا العلمي تطوراً ومنهجاً مما يكون له الدور الكبير في أنعاش الحركة التجديدية للأجيال الآتية)^{٢٧}.

الذي يظهر من خلال ما تقدم أنه كانت تعتمل في ذهنه أفكار ومشاعر كثيرة في مجال التهذيب لمطالب الأصول وتغيير واساليب بحوثه بما يحقق للفقهاء الجدوى الحقيقية في ممارسة الاستنباط وهذا هو عين الصواب بما يقابل سنة المجدد في عصره... كما يقال عن أهمية علم الأصول (ومعلوم ان علم الأصول قد استمر قوته وأهميته الكبرى من خلال الموضوع الذي يعالجه لأنه العلم الذي يمثل منهج عملية التفكير الفقهي في استنباط الأحكام الشرعية)^{٢٨}.

وهناك أثر آخر للبحث... وهي أن الشيخ في دخوله معترك فرض الارادات آنذاك لم تكن لديه إلا ارادة واحدة هي ارادة التقرب إلى الله تعالى ونيل رضوانه من خلال حفاظه على روح الشريعة ومبادئ الحركة التشريعية التي حاول ذوي الارادات النفعية والمصلحية وجهلة الواقع ان يتلاعبوا متبنياتهما السلمية مثلما أصلها وبنائها رسول الرحمة (ص) وأله الأبرار.

فالمحور الذي تعلق في حجية الظن حسب منهج الشيخ المقدس كواحد من محاور المواجهة الشاملة مع خصومه إنما أستقرغ له بذل الجهد بأقصى وسعه لما كشف عن عورة الإخباريين الذين يمارسون الظن في البيانات وينكرونه في العبادات فحالما توصل الى حجية الظن الشرعي لامطلق الظن حسب قوله (الظن ليس بحجة على نحو الإطلاقات إنما الذي يحقق الحجية هو ظن المجتهد الحي المستجمع لشرائط الفتوى والمقلد في المسائل الاجتهادية)^{٢٩}.

ألفت إلى الإخباريين بقوة إرادته الإيمانية لاتأخذه بالله لومة لائم مخاطباً أيهم (أنكم تدعون لزوم العلم من جميع الأحكام والعبادات وتنزلون إلى الظن لعدم إمكان تحصيل العلم في مجرى شهادة العدليين كموضوع مثلاً فأنكم تعملون بالظن وتتوهمونه علماً ما لكم كيف تحكمون)^{٣٠}.

نستخلص من ذلك ان الشيخ اذا ما قدر له ان يضع يده على مخالفة المخالف قلاً يتهاون في الرد عليه وتأبينه بدرجة أشعاره بالخطأ الذي عليه دونما تدخل فيه عوامل المجاملة والمحابة وأعضاء النظر لأي مبرر كان على حساب الأمانات الشرعية وهذا التعامل بحد ذاته يُعد ثمرة من جهود الشيخ الوحيد يطلقها لأقرانه فقهاء الأمة على مدى الحياة التشريعية أن لا يترددوا ولايتها ونوا في مواجهة الانحراف الفكري الذي تعمل عليه الدوائر المعادية لرسالة الحق المبين ونحن نعلم جيداً بأن الفقيه المتصدي يمثل خط الإمامة المعصومة في زمن الغيبة بل هم حجة على الناس والإمام هو الحجة عليهم ومن موافقه في محضر كبار الإخباريين قال (ان الإخباريين يجيزون العمل بالظن في موضوعات الأحكام وليس في الأحكام، والحال ان العمل بالظن لو كان محرماً فلا فرق في الحرمة بين الأحكام وموضوعاتها، وإذا كان جائزاً فكذلك لا فرق في جوازه بين الموضوعات واحكامها)^{٣١}.

وفي طيات البحث كثيرة هي الآثار التي تحقق الفائدة للأمة ولكن أختتمها بقوة الدليل على حجية خبر الواحد الذي طرحه الوحيد البهبهاني في مسرح التغيير والتجديد بقوله (معلوم ان مقتضى آية النبأ العمل بخبر العادل أي غير الفاسق ولكن بعد التحقق والتثبت، وان العدالة المشار إليها كشرط في الخبر يكتفي في تحصيلها بالظن، بل حتى الظن الضعيف الذي دأب عليه الشيعة من قبل)^{٣٢}.

ومن خلال استقراءنا لرأي الشيخ نجده غير مقتنع بعمل الخبر الضعيف كما استبان تأييده إلى الخبر الموثق لإعتبار ان الظن في نفسه هي بحجة والبناء عليه فهي عنه فلا بد من دليل علمي على حجيته لذا أنه ركز على ان قوله بحجية الظن ومنه الخبر الواحد بل على مطلق الإمارات

والخلاصة التي انتهى إليها الشيخ الوحيد تتمثل في أن عملية التفحص والتثبت عماله دخل في الوثوق أو عدمه ببذل أقصى الجهد من أجل الوصول الى حصول علم قد حصل ولازم ذلك يكون العمل بالظن

لامناص منه... وخلافه يقع المكلف بما لا يطاق لامحاله وهذا ينافية روح التشريع وإرادة السماء بالنظر لقوله تعالى {عِيْدُ اللَّهِ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} (البقرة: ١٨٥).

بيد ان الذي يعزز ويدعم وجود الثمرة المتوخاة من فحوى قوله السديد بدقة متناهية بأن العود للعمل بالإخبار المظنونة ونظائرها إنما يتوقف على عملية بذل الجهد من الفقيه المستنبط لحكم تلك المسألة الواردة في خبرها الواحد ذلك مايراد له الوصول الى منتهى الوثائق... وان لايجزم بحجته كل ظن حتى الابتدائي إذا علم بإنسداد باب العلم ولعله حالما يكون باذلاً جهده ان يرتفع ذلك الظن بعلم او بظن مساوي له او أقوى حتى يعارضه او مايحمل به مرجحات غالبية على ماقتب له كل ذلك إنما يعود إلى المجتهد الحاذق الورع الذي يثبت اعتباره شرعاً في ظنه من خلال ما بذل له كل ما في وسعه... وهذه الثمرة التي أكدها الشيخ إنما هي ضرورة قائمة في عالم اليوم الذي كثر فيه الادعاء على الفقهارة والاجتهاد وبدوافع شتى واسباب وفيرة اغلبها الجهل والسذاجة والسطحية في تناول العلوم بعيدا عن التروي والتأمل والفهم العميق للأدلة والروايات واقوال العلماء حقاً أمثال الوحيد والأنصاري والخميني والصديين والأول والثاني الذين حملوا هموم الأمة ومعاناة المؤسسة الإجتهدية المرجعية فكان همهم الإصلاح والتغيير والتجديد منذ باكورة حياتهم العلمية وكانت مدارسهم العلمية تعيش حالة التأليف والتسامي في جميع أبعادها دون النظر الى المصالح الضيقة وضغط الحواشي، وحقاً لو تلك الجهود الكبيرة في مجال الحفاظ على تراث أهل البيت (ع) وتطوره وتعميقه ونشره ومواجهة مناقضيه والخارجين على أصو له ومبادئه بشجاعة وبسالة ومتبنياته ومنهجه العلمية والحفاظ على مبادئه الاجتهادية لكان الذي نحن عليه أسوأ مما يقدر له...

ولهذا نقول انما تركه الوحيد البهبهاني من ثمرات حيوية فاعلة خصوصاً مارسه للفقيه الذي يتعامل مع مجمل الظنون في حياته الاستنباطية ان يكون ورعاً متأملاً دقيقاً التفحص قبل اللجوء على ما ينبغي التعاطي معه على ضوء ظنه الأولي هذا من جهة ومن جهة أخرى ان الوحيد البهبهاني كان يحذر بقوة من قضية مايمارسه ضعفاء البصيرة وذوي الدوافع النفعية من خلال استفادتهم العملية من المبنى الذي وضعه بعض الفلاسفة والمتكلمين في محاججاتهم بدليل اصل عدم، حسب ماورد عنهم (ان عدم الدليل دليل على عدم)^{٣٣}

أي هل على النافي لدليل المقابل دليل ام لا؟ وقد اشتهرت هذه القضية في مدعي النبوة التي قال عنها احد المتكلمين... عندما طلب من صاحب الدعوة دليل على نبوته ومعلوم ان هذه المسألة عبرت حدود الفلاسفة والمتكلمين وتقابل معها الأصوليين والفقهاء، فكان الشيخ يرد على من سمع منه ذلك كما ورد عن أقرانه بقوله (لأجل ان نفرغ ذمتنا من مسؤولية الوجوب الألهي بإفراغ الجهد باقصى ما يمكن للوقوف من دليل معتبر يستتبعه حكم على موضوعه الصريح فلايبرر لنا اعتماد هذا القول في ما تضمنته اصل عدم فهو لايعنينا كأصوليين فقهاء)^{٣٤}.

فالذي نفهمه من ذلك بأن قد حذر من ان يتعامل بعض الأصوليين او الفقهاء في اصل عدم كونه البضاعة لايجنيها إلا فاقد الدليل وهذه طامة كبرى على الأمة إذا ما أبتليت بمثل هؤلاء حتى يبرروا موقفهم بين الناس البسطاء ويستخفوا عقولهم... ذلك ما يدعو اليه الشيخ صاحب لواء التجديد والحث الدائم لطلابه واتباعهم على متابعة الفحص والتثبت في الخبر، فكانوا كما عهدهم بأنهم يجتهدون غاية الجهد في تحصيل مايصبون اليه ويشيدون في الطلب عنه ولايتسامحون حتى مع انفسهم عن ذلك. حتى انهم لو لم يجدوا ما هم عليه لم يتوقفوا عن الفحص حتى تكل ابدانهم وصدق من قال (من طلب شيئاً وجد... ومن قرع باباً ولج ولج)^{٣٥}.

الخلاصة

١- بأن الإتجاه العقلي يذهب إلى ما فيه من الكشف التام على أي موضوع كان ولو قدر أن لا يكون كذلك أي بمعنى كشفه ناقص ذلك ما يحتاج إلى عناية أكثر فأكثر حتى يصل العقل إلى ما يقطع التوافق عليه..وبما أن النصوص القرآنية المتعددة اشارت إلى مفهوم الظن فأنها حذرت من الوضع فيه بناء على عدم تكامل كاشفيته فضلاً عن نزوله إلى الوهم والشك.

٢- أن المعتبر ما يريد الشارع المقدس لآمانريده نحن، كثير ومن الطبيعي أن جل الأخبار يعتبر المراد منها من خلال ملاحظة الخبر اللاحق لها، وقد يكون مالم يظهر مثل ما ظهر لكنه لم يصل ألياً للظروف الزمنية، وقد يكون ول لكن لم نطلع على روايته...فالعالم الذي نريد الوصول إليه قد لا تتوفر وسائله وليس لنا حق تعطيل مراد الله تعالى، فلا بد أذن من العمل بالظن.

٣- وهو معلوم في مدرسة أهل البيت(ع) بأن باب العلم بعدم حضور المعصوم فهو مسدود، فكيف إذن إذا ما قدر لنا أن نسد باب العلم أيضاً ذلك ما يعطل التزاماتنا مع المشرع بل هو أمر محال - فينحصر الطريق بالظن غالباً...ومن الطبيعي ان نتعامل مع الظنون في قول اللغوي والنحوي، واصالة العدم واصالة الصحة واصالة البقاء وغير ذلك.

٤- الأخرى أن الشيخ الوحيد لم يكن مبيناً قضية الظن حسب السياقات العلمية والمعرفية فحسب بل أن ما فعله رداً على الأخباريين إنما يشكل منهج علمي تجديدي بعد الركود والجمود الذي مرت به مدرسة أهل البيت الاجتهادية، إذا استطاع بما بذله من سعي جاد وجهد حثيث من نشر الفكر الأصولي بشكل منهجي دونه في عنوان عام اسمه الفوائ الحائرية القديمة والجديدة اختلفت اختلافاً واضحاً عن الهيكل العام لثبوت من تقدم عليه.

٥- إنما تركه الوحيد البهبهاني من ثمرات حيوية فاعلة خوفاً مارسه للفقهاء الذي يتعامل مع مجمل الظنون في حياته الاستنباطية ان يكون ورعاً متأملاً دقيقاً التفحص قبل اللجوء على ما ينبغي التعاطي معه على ضوء ظنه الأولي هذا من جهة ومن جهة أخرى ان الوحيد البهبهاني كان يحذر بقوة من قضية ما يمارسه ضعفاء البصيرة وذوي الدوافع النفعية من خلال استفادتهم العملية من المبنى الذي وضعه بعض الفلاسفة والمتكلمين في محاججاتهم بدليل اصل العدم

SUMMARY

1-mental trend that goes to Maver of full disclosure on any subject, even as well as make it clear that any sense minus revealed that Maihtaj Alai more and more attention even mind up to what goes compatibility Alih..ubma that multiple Quranic texts indicated to the concept they think warned of the

situation based on the lack of integration Kashifath as well as coming to the illusion and doubt.

2- that what counts Mairead Holy street Amanradh We, many It is natural that the bulk of the news is intended to by observing the subsequent news to her, may be unless appears like the afternoon but did not reach us on the circumstances of time, it may be well but did not see what the novel .. valalm who want to access it has to Ataatovr its means and we have no right to disable Murad God, we must work from ear into thinking

3- Huma'lom School in the household (p) that the door of science not to attend the infallible Vhomsdod, How, then, if Makedr us to close the door knowing also that it disrupts our commitments with the legislator but is impossible -vinhsr way into thinking often ... It is natural that we deal with suspicions in the words of the language and grammar, and the originality and authenticity of the blood of Health and authenticity to stay and so on

4-other that Sheikh only not stating the case probably by scientific and cognitive contexts, but that what he did in response to the Akhbaris constitutes scientific regenerative approach after the recession and stagnation experienced by School household discretionary, if he could, including his pursuit of serious actively and effort to deploy fundamentalist thought systematically without his name in the title of the benefits of old and new Alhaúria differed distinctly different from the general structure of proof of progress on it.

5- but left only Behbahani of fruits vital actor Khossa Masmh Faqih, which deals with the overall surmises in his life Alastenbatih be devout mused careful scrutiny before resorting to what should be dealt with in the light of this initial

of Jhhomen the other hand.

الهوامش والمصادر

-
- ^١ الطهراني، أغابزر ك، الكرام البررة / ح ١/ ص ١٧٣.
- ^٢ الخرمشاهي، محمد علي، دائرة المعارف، ج ١/ ص ١٢١.
- ^٣ الطهراني أغابزر ك، مصفى المقال مصنفى علم الرجال ص ٦٦.
- ^٤ الأصفى، محمد مهدي، مقدمة الفوائد الحائرية، ص ٤١.
- ^٥ اصف، محمد هاشم، مصفى المقال، ص ٨٦.
- ^٦ الطهراني، أغابزر ك، مصفى المقال، ص ٨٦.

- ^٧ نفس المصدر.
- ^٨ الحائري، محمد بن أسماعيل، منهي المال في احوال الرجال/ج ٦، ص ١٧٧.
- ^٩ السيد الطباطبائي، محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٠/ص ٩٥.
- ^{١٠} سليمان بن الشعث، سنن ابي داود، ج ٢/ص ٤٥٩.
- ^{١١} الحر العاملي وسائل الشيعة، ج ٢٧/ص ٥٩.
- ^{١٢} الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٧/ص ٤٠.
- ^{١٣} ابن الشهيد الثاني، حسن، معالم الأصول، ص ٣٢٧.
- ^{١٤} البهبهاني، الوحيد، الفوائد الحائرية، ص ١٢٧.
- ^{١٥} زين الدين، شيخ حسن، معالم الدين، ص ٦٦.
- ^{١٦} الأمدى، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ص ٢٠١.
- ^{١٧} نفس المصدر
- ^{١٨} السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع، ص ١٩٢.
- ^{١٩} الهاشمي، محمود، بحوث في علم الأصول، ج ٤/ص ٢٣٩.
- ^{٢٠} البهبهاني، الوحيد، الفوائد الحائرية، ص ١١٧.
- ^{٢١} البهبهاني، الوحيد، رسالة في الاجتهاد والأخبار، ص ١٩.
- ^{٢٢} البهبهاني، الوحيد، الفوائد الحائرية، ص ١٥٦.
- ^{٢٣} الاصفهاني، محمد تقي، هداية المسترشدين، ج ٣/ص ٣٢٨.
- ^{٢٤} البهبهاني، الوحيد، رسالة الاجتهاد والأخبار، ص ٤٩.
- ^{٢٥} زين الدين، شيخ حسن، معالم الدين، ص ١٩٤.
- ^{٢٦} الهاشمي، محمد بحوث في علم الأصول، ج ٤/ص ١٨٥.
- ^{٢٧} المازندراني، عمر بن اسماعيل، منتهى المقال، ص ٢١٨.
- ^{٢٨} الصدر، محمد باقر، المعالم الجديدة، ص ٢٠.
- ^{٢٩} البهبهاني، وحيد، الفوائد الرحائرية، مجمع الفكر الاسلامي، ايران ط ١، ص ٩١-٩٢.
- ^{٣٠} نفس المصدر ص ١٠٤..
- ^{٣١} المصدر السابق.
- ^{٣٢} البهبهاني، الوحيد، الفوائد الحائرية، ص ٢٠١.
- ^{٣٣} الطباطبائي، محمد حسين، بداية الحكمة، ص ٢٠١.
- ^{٣٤} الطباطبائي، علي، رياض العلماء، ج ٢/ص ١٢٤.
- ^{٣٥} الجرجاني، عبد القاهر، اسرار البلاغة، ص ٣٤١.